وحدة فقه الدعوة

المقرر الدراسي // الفصل السادس - مسار العقيدة والفكر والحضارة

1- تعريف فقه الدعوة

أ- تعريف الفقه في اللغة والاصطلاح

ب- تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح

ج - تعريف المصطلح المركب فقه الدعوة

د - مصطلحات ومفاهيم تشترك مع الدعوة في المعنى

2- فضل فقه الدعوة وأهميته والحاجة إليه.

3- أهداف فقه الدعوة.

4- نشأة فقه الدعوة وجهود الرسول ﷺ وصحابته في إرساء دعائمه.

5- مشاهير الدعاة في الإسلام.

6- مصادر فقه الدعوة (الكتاب - السنة - السيرة النبوية - سيرة السلف الصالح - تجارب الدعاة عبر التاريخ).

7- أركان الدعوة (الداعي - المدعو - موضوع الدعوة).

8- صفات الداعي وآدابه.

9- ثقافة الداعي.

10- أساليب الدعوة ووسائلها:

أ- أساليب الدعوة.

ب- وسائل الدعوة.

11- قواعد فقه الدعوة.

أ- القواعد العلمية.

ب- القواعد المنهجية.

12- واجبات الأمة في استمرار الدعوة.

13- تحديات الدعوة في العصر الحديث.

المصادر والمراجع

- أصول الدعوة : عبد الكريم زيدان
- دراسات في الدعوة والدعاة : الشيخ محمد الغزالي
- فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .
- المدخل إلى علم الدعوة : محمد أبو الفتح البيانوني .
- الدعوة الإسلامية فريضة شرعية : صادق أمين .
- الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة : إسماعيل حامد .
- الدعوة والدعاة في منهج القرآن الكريم : جاسم بن محمد الياسين .
- الحكمة في الدعوة إلى الله : سعيد بن علي بن وهف القحطاني .
- مفهوم الحكمة في الدعوة : صالح بن عبد الله بن حامد .
- البصيرة في الدعوة إلى الله : عزيز بن فرحان العنزي .
- منهج النبي (ﷺ) في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة : محمد أحزون .
- التدرج في دعوة النبي (ﷺ) : ابراهيم بن عبد الله المطلق .
- فقه الدعوة وآداب الداعية : يحيى بن عطية العامودي .
- معالم في أصول الدعوة : محمد يسري .
- الأسس العلمية لمنهج الدعوة : عبد الرحيم المغذوي .
- أساليب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي - عبد الله محمد المرسي .
- تبصرة الهداة بشأن الدعوة والدعاة : عبد الله بن صالح القصير .
- الخلاصة في فقه الدعوة إلى الله علي بن نايف الشحود .
- الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها : أحمد عمر هاشم .
- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة : الشيخ ابن باز .
- الدعوة إلى الله : حماد الحق .
- تاريخ الدعوة إلى الإسلام وحيد الدين خان ...

تعريف فقه الدعوة

- تعريف الفقه:

- الفقه في اللغة: قال الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز «الفقه بالكسر العلم بالشيء والفهم له والفطنة، وغلب على علم الدين لشرفه... وفقه فقها: علم... وفقه تفقيها وأفقهه: علمه... وتفقه: تعاطاه، وفقه فقها: علم... والفقه أخص من العلم، قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم قوم لا يفقهون﴾ [الحشر 13]، وقال: ﴿وليتفقهوا في الدين﴾ [التوبة 122]».

وقال الراغب الأصفهاني: «الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم، قال تعالى: ﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾».

وقد تكررت مادة «فقه» في القرآن الكريم بصيغة الماضي مفردا وجمعا عشرين مرة، منها قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾، وقوله تعالى: ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول﴾، وقوله تعالى: ﴿ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾.

من خلال هذه الآيات يتبين أن الفقه يستعمل لمعنى أخص من العلم، وهو الفهم العميق والتدبر الدقيق والفطنة في الفهم، ولذلك لا يطلق الفقه في عرف أهل العلم الا على العالم الفطن أو العالم المجتهد الذي يدقق النظر في أدلة الفقه ويحسن الاستنباط منها.

- الفقه في الاصطلاح: قال تاج الدين السبكي الشافعي: الفقه «هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية»، والمقصود بالفقه المضاف إلى الدعوة هو المعنى اللغوي، أي الفهم العميق للدعوة أولا ومنهاجها وأهدافها وتطبيقها.

- تعريف الدعوة:

- الدعوة في اللغة: ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك...».

وجاء في المصباح المنير للفيومي: «دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت إليه

بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير. دعوت زيداً: ناديته وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله، والجمع دعاة وداعون مثل قاضٍ وقضاة. والمؤذن والنبي داعي الخلق إلى التوحيد، ودعوت الولد زيداً وبزيدٍ لذا سميته بهذا الاسم».

وقال الأصفهاني بعد أن ذكر بعض المعاني اللغوية السابقة: «والدعاء كالنداء، والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده، قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه﴾ [يوسف 33]، ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ [يونس 25]...».

فالدعوة والدعاء مصدر لفعل دعا يدعو بمعنى نادى ينادي وطلب يطلب، وشأن النداء لأمرٍ ما أو طلب أمرٍ ما، أن يكون برفق ولين وتلطف، وقد يصاحبه أحياناً استعطاف واستجداء واستغاثة، واستثارة للعواطف الداعية للاستجابة. يقال: دعا الرسول قومه إلى دين الله دعوة ودعاءً.

وتعني: إذا ناداهم وطلب منهم الدخول فيه وحثهم على الإيمان بما جاء فيه، وعلى الإسلام والطاعة لله عز وجل، ومن ذلك قول الله عز وجل في سورة الأنفال: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾. وتكون دعوة القريب بنداء منخفض مسموع، وتكون دعوة البعيد بنداء عالٍ وصياح، وتكون الدعوة بالمقال ملفوظاً وقد تكون بالكلام مكتوباً، وقد تكون بالحال عن طريق عرض النموذج لتقليده والاقتداء به، وقد تكون بوسائل مباشرة، وبوسائل غير مباشرة، وقد تكون بوسائل إغرائية أو تحذيرية مثيرة لدوافع النفوس ورغباتها في الإقبال أو النفور»[1].

- الدعوة في الاصطلاح: يقول ابن تيمية في تعريفها: «الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديق ما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به». ويقول: «وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب، ومن باطن وظاهر، من الدعوة إلى الله الأمر به، وكل ما أبغضه الله ورسوله من باطن وظاهر من الدعوة إلى الله النهي عنه».

(١) أنظر مقدمات كتاب "فقه الدعوة إلى الله وصفة النفع والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لمحمد أحمد الراشد، دار النهضة الإسلامية.

ولا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يُفعل ما أحبه الله، ويترك ما أبغضه الله، سواء كانت من الأقوال أو الأعمال الباطنة والظاهرة».

ولا تكاد تخرج تعريفات المتأخرين عن هذا المعنى، ومنها:

تعريف الشيخ صالح بن حميد بقوله: «الحكم بالنظر والتأمل تعريف الدعوة بأنها: قيام المسلم ذي الأهلية في العلم والدين بتبصير الناس بأمور دينهم، وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع، على قدر الطاقة؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل». (معالم وضوابط الدعوة ص٩)

وعرفها محمد خضر حسين بقوله: «حث الناس على الخير والهدى، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل» (الدعوة إلى الإصلاح ص١٦).

وعرفها الشيخ البيانوني بقوله: «تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة». (المدخل لعلم الدعوة ص١٨).

تعريف المصطلح المركب لفقه الدعوة: بناءً على ما تقدم فإن فقه الدعوة يطلق ويراد به: «العلم الدقيق للدعوة بكل مقوماتها التي تشمل الداعي والمدعو، وموضوع الدعوة، ومقاصدها، ومناهج تبليغها وتطبيقها».

فرضية الدعوة

اتفق العلماء على أن الدعوة إلى الله فرض واجب على المسلمين، واستدلوا على ذلك بشواهد من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ [يوسف ١٠٨].

ومن الأحاديث قوله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]، وقوله ﷺ: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»[2].

(1) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(2) رواه البخاري في صحيحه.

واختلف العلماء في نوعية هذا الوجوب هل هو على التعيين أم على الكفاية، فمنهم من قال إنه واجب عيني على كل مسلم ومسلمة، ومنهم من قال إنه واجب كفائي إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ومنشأ الخلاف بين الفريقين في تفسير كلمة "من" في قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾، فمنهم من قال إنها للتبعيض، ومنهم من قال إنها للتبيين، ومن قال إنها للتبعيض قال إن الدعوة واجب كفائي، ومن قال إنها للبيان والتبيين قال إن الدعوة واجب عيني، والخلاف بين الفريقين يسير إذ لا يترتب عليه كبير أثر في العمل، وذلك كما يلي:

- إن الذين قالوا بالوجوب الكفائي شرطوا لذلك حصول الكفاية، فإذا قام كل الكفاية لم يسقط الحكم بالوجوب على الباقين، ويبقى الخطاب متوجها إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية، وإذا لم تحقق الكفاية أثم الجميع.

- إن الذين قالوا بالوجوب العيني قيدوا الوجوب بالاستطاعة، فمن كان عاجزا عن تغيير المنكر لا يعد مستطيعا بالانتفاء، وكذلك من كان عاجزا عن تغيير المنكر يسقط عنه الوجوب، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد.

فضل الدعوة والحاجة إليها

- الدعوة إلى الله شأنها عظيم ومقامها شريف ومرتبتها عالية لمن وفقه الله تعالى للقيام بها، وقد أخبر عز وجل بذلك في محكم كتابه حيث يقول: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ [فصلت 33]، قال الحسن البصري: هذا ولي الله، هذا من أحب الله، هذا من أجاب الله في دعوته، وعمل صالحا في إجابته، فهذا حبيب الله، هذا ولي الله.

ولما عرف الصالحون شرف هذه المهمة حرصوا عليها فلم يسيروا إليها مشيا بل سعوا إليها سعيا قال تعالى: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون﴾ [يس 20-21]، فالدعوة وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعن هذا كان فخرا وشرفا لمن اتبعهم وسلك مسلكهم في الدعوة إلى ما دعوا إليه.

يقول ابن القيم: "الدعوة إلى الله هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم مع الناس تبع لعلم الله سبحانه فيما أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وفرض له حفظه وعصمه من الناس، وكذا المبلغون عنه من أمته لعلم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له، وقد أمر النبي (ﷺ) بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثا، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السلام إلى القبور والعبور، لأن ذاك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ العلم فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله تعالى ممن يقوم بهذا وكرمه"[1].

ومن أحاديثه صلى الله عليه وسلم في فضلها وعظيم قدرها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أنه (ﷺ) قال لعلي لما أرسله لقتال اليهود في خيبر: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[2]. وفي رواية: "خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت". وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا"[3].

فالداعي على الله يجري له ثواب من اهتدى بدعوته في الدنيا والآخرة، وذلك فضل لا يعدله فضل في موازين الله عز وجل.

والحاجة إلى الدعوة حاجة كل زمان ومكان، وقد أوجب الله عز وجل أمرها إلى هذه الأمة بعد نبيها الذي ختم به الأنبياء، كي تستمر رسالته ويعم خيرها العالمين، وهذا مقتضى قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: 110]، وقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران: 104].

(1) حلية الأعلام 414-415.

(2) الحديث رقم 2406.

(3) الحديث رقم 2674.

وقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة 143]، وقوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ [يوسف 108].

ومن كلام الشيخ ابن باز رحمه الله في هذا السياق قوله: «الواجب على جميع القادرين من العلماء وحكام المسلمين والدعاة الدعوة إلى الله حتى يصل البلاغ إلى العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا هو البلاغ الذي أمر الله به، قال تعالى لنبيه: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة 67]، فالرسول عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعا عليهم البلاغ، وعلى أتباع الرسل أن يبلغوا، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بلغوا عني ولو آية»، وليس هذا على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة، التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه، وذلك يتضح لكل طالب علم، أن الدعوة إلى الله من أعظم الطاعات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها، بل في أشد الضرورة إلى ذلك، فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الله، وأن يصبروا على ذلك، وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وعلى طريقة الرسول وأصحابه ومنهج السلف الصالح».

مصطلحات ومفاهيم تشترك مع مصطلح الدعوة في المعنى

هناك مفاهيم ومصطلحات كثيرة تلتقي كليا أو جزئيا مع مصطلح الدعوة بمعناه العام، منها:

1- التبليغ: البلوغ والإبلاغ والتبليغ في اللغة تعني الانتهاء والوصول والإيصال والتوصيل إلى غاية مقصودة أو حد مراد، سواء كان ذلك الغاية مكانا أو زمانا أو أمرا من الأمور المقدرة معنويا.

ومن هذا المعنى اللغوي يمكن أن نستوحي تعريفا اصطلاحيا للتبليغ فنقول: هو إيصال تعاليم الإسلام وأحكامه إلى الناس توصيلا كاملا لا نقص فيه كما بلغها الرسول ﷺ، يقول تعالى مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة 67]. وعلى هذا يكون معنى التبليغ قريبا من معنى الدعوة إن لم يكن مرادفا له في الاستعمال.

2- التذكير: التذكير في اللغة من ذكر الشيء يذكره ذكرا وذكرى وتذكارا إذا استحضره واستعاده في ذهنه وذاكرته بعد نسيان. والتذكرة ما يحصل به تذكر الشيء، يقول تعالى: ﴿وما يعلم عن التذكرة معرضين﴾ [المدثر 49]، ويقول تعالى: ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾ [الحاقة 48]. وفي الاصطلاح: هو إعادة ما سبق تبليغه وبيانه وشرحه من تعاليم الإسلام وأحكامه ليذكر بها من كان قد تبلغها حتى مستوى العلم الصحيح الواعي، ويوجه في العادة لمن بلغ ولم يستجب أو لمن استجاب ولكن حاجة إلى تذكر ما علم ليزداد فهمه وإدراكه له. وهذا أيضا من معالم الدعوة والدعاة في إرشاد الناس وتعليمهم.

3- النصح: النصح في اللغة مصدر فعل نصح، يقال: نصح الشيء نصحا ونصوحا ونصاحة: خلص، ونصحت توبته: خلصت من شوائب العزم على الرجوع، ونصح قلبه: خلا من الغش.

ونصح الشيء: أخلصه، ويقال: نصحته ونصحت له، وهو باللام أفصح: أريد له الخير ما فيه صلاحه.

والنصح: ذكر فعل أو قول فيه صلاح المنصوح، قال تعالى: ﴿لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ [الأعراف: 79].

والنصيحة من النصح وهي إرادة الخير للمنصوح. قال الإمام النووي: «النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، شبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يشده من خلل الثوب».

وفي الاصطلاح، قال الجرجاني: «النصح والنصيحة: الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد».

وما جاء في شأنها حديث تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، فبين أن عماد الدين وقوامه النصيحة، كقولهم الحج عرفة، أي عماده ومعظمه عرفة». وحديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»، وبهذا يتبين أن النصح والنصيحة من جملة أعمال الدعاة.

4- الوعظ: الوعظ في اللغة هو النصح والتذكير بالعواقب، يُقال: وَعَظَه يَعِظُه وَعْظاً وعِظَةً وموعظة، إذا ذكّره بما يُلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ.

والوعظ: الأمر بالطاعة والتوصية بها وعليه قوله تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ أي أوصيكم وآمركم. والوعظ أيضا التخويف. واتعظ: أي ائتمر ووعّظ نفسه.

فالوعظ في اللغة: هو النصح والتذكير بالعواقب المقترن بالتخويف، مع الأمر بالطاعة والتوصية بها والانتفاء بالموعظة وكف النفس عن الخطأ.

ولا يختلف معنى الوعظ في الاصطلاح عن معناه في اللغة.

قال الخليل بن أحمد: «العظة: تذكيرك الرجل الخير وكُوَّه مما يرق له قلبه».

وقال الجرجاني: «الوعظ: التذكير بالخير فيما يرق له القلب». وقال الراغب: «الوعظ: زجر مقترن بتخويف». وعلى هذا فإن الوعظ يستجمع معاني النصح والتنبيه على الأخطاء، والتذكير بما يردع عن الشر من الوعد بالثواب، والوعيد بالعقاب، والإرشاد إلى الطريق القويم، والحث على التزامه والتحذير من مخالفته.

وهذا من أجل مقام الدعوة ومقاصدها.

5- الإرشاد: الإرشاد مصدر أرشد، أرشده إلى الشيء: دلّه عليه، وهو مأخوذ من مادة "رشد" التي تدل على استقامة الطريق. والرُّشد والرَّشاد نقيض الغي. رشد الإنسان بالفتح يَرْشُد رُشْداً (بالضم) ورَشِد (بالكسر) يَرْشَدُ رَشاداً فهو راشد ورشيد إذا أصاب وجه الأمر والطريق.

والرشد: الاستقامة على طريق الحق، وأرشده الله وإلى الأمر، ورشَدَه: هداه، واسترشده: طلب منه الرشد.[1]

قال ابن الأثير: إرشاد الضال: هداية الطريق المستقيم - ونعرفه به، ولا نخرج تعريف الإرشاد في الاصطلاح عن هذا المعنى الذي ذكره ابن الأثير، وهو من مقاصد الدعوة، إذ مدارها على هداية الناس جميعا الصراط المستقيم الذي به صلاحهم في المعاش والمعاد.

6- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: جاء في كتب اللغة أن المعروف ما يستحسن من الأفعال، وكل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، والمنكر ما تنكره العقول وتستقبحه.

أما المعروف في الاصطلاح فيطلق على كل ما أمر الشارع بفعله إلزاما أو ترغيبا، فهو كل ما يستحسن فعله في الإسلام من الطاعات والقربات، وأما المنكر فيطلق على كل ما نهى الشارع عن فعله نهيا إلزاميا تحريميا، وهو كل مستقبح في الإسلام.

ومعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإرشاد إلى ما يُرضي الله تعالى من الأقوال والأفعال التي دلت الشريعة على فضائلها ومحاسنها، والنهي عما يسخط الله تعالى من الأقوال والأفعال التي دلت الشريعة على مساوئها وسوء عاقبتها، وهذا المعنى قريب من معنى الدعوة، وهو اصطلاح جميل تداوله المتقدمون تداولا واسعا في دراساتهم الكلامية والعقدية.

(1) انظر في هذه المعاني لسان العرب والمعجم الوسيط وسائر معاجم اللغة (مادة رشد).

المبحث الثاني

« أركان الدعوة »

تعريفها :

الأركان **في اللغة :** جَمْعُ ركن ، وهو : أحد الجوانب التي يستند إليها الشيء ، ويقوم بها ، وهو : جزء من أجزاء حقيقة الشيء ، يقال : ركن الصلاة وركن الوضوء [1] .

والركن **في الاصطلاح :**

« ما يقوم به ذلك الشيء ، مِنَ التَقَوّم ، إذ قِوام الشيء بركنه ، لا من القيام ... »[2] .

ومما سبق يمكننا تعريف أركان الدعوة بأنها « الأجزاء التي تمثل حقيقة الدعوة ، ولاتقوم الدعوة إلا بها » وهي ثلاثة :

أ ـ الداعي .

ب ـ المدْعو .

جـ ـ موضوع الدعوة .

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (ركن) (١ /٣٧٢) .

(٢) « التعريفات » للجرجاني ، ص : ١١٢ .

١ ـ الركن الأول :

« الداعي »

وقد سبق معنا تعريفه في التمهيد بأنه :

« المُبَلِّغُ للإسلام ، والمعلِّم له ، والساعي إلى تطبيقه » ، فهو القائم بالدعوة ، قال تعالى :

﴿ ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيرا ﴾ [1] .

أهمية الداعي وفضله :

يمكننا الوقوف على أهمية الداعي وفضله من عدة جوانب :

١ ـ من حيث موضوعُه الذي يدعو إليه : فهو داعية إلى الله ، يدعو إلى رضائه وجنته ، قال تعالى :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين ﴾ [2] .

وقال أيضاً :

﴿ ويا قَوْمِ مَالي أَدْعوكم إلى النجاةِ وتَدْعونَني إلى النار * تَدْعونَني لأَكْفُرَ بالله وأُشْرِكَ به مـالَيْسَ لي به عِلْم ، وأَنا أَدْعوكم إلى العزيز الغَفّار ﴾ [3] .

(١) الآيات / ٤٥ ـ ٤٦ / من سورة الأحزاب .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٣) الآيات / ٤١ ـ ٤٢ / من سورة غافر .

٢ ـ من حيث وظيفتُه : فإن وظيفة الداعية أشرف الوظائف على الإطلاق ، لأنها عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أشرف البشر . وإن عظم الوظيفة تدل على عظم صاحبها ،

قال تعالى :

﴿ رُسُلاً مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (١) .

٣ ـ من حيث أجْرُه وثوابه : فقد وعد الله عز وجل الدعاة إليه بالأجر الكبير ، والفضل العظيم ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مِثْلُ أجور من تبعه ، لايَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه مِنَ الإثم مثلُ آثام من تبعه ، لايَنقُص ذلك من آثامهم شيئاً » (٢) .

وجاء في الحديث الآخر :

« فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكونَ لك حُمْر النَّعَم » (٣) .

إلى غير ذلك من نصوص شرعية تبين عظيم ثواب الداعية على عمله ... (٤)

---

(١) الآية / ١٦٥ / من سورة النساء .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٢٦٧٤) .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٧٠١) (٧/ ٧٠) و « صحيح مسلم » رقم (٢٤٠٦) .

(٤) راجع رسالة « وجوب تبليغ الدعوة ـ فضل الدعوة والداعية ـ » للشيخ عبد الله ناصح علوان ـ نشر دار السلام ـ .

صفاتُ الداعي وآدابه :

لما كانت الدعوة إلى الله عَملَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأتباعهم ، كان لابد للقائم بها من التحلي بصفات أساسية وآداب ضرورية ليكون أهلاً لهذا العمل ، وتكون دعوته مثمرة ،

ونظراً لعدم الفرق العلمي الدقيق بين الصفات والآداب ، رأيت أن أسرد أهم الصفات والآداب الضرورية للداعية دون تفريق بينهما من جهة ، ودون تفصيل لهذه الصفات والآداب وأدلتها من جهة أخرى ، تمشياً مع طبيعة المدخل .

ويمكن لمن أحب التفصيل في ذلك أن يرجع إلى كتب الأخلاق والآداب ، فهي حافلة بالصفات الكريمة ، والأدلة عليها (١) .

١ ـ الإيمان العميق بما يدعو إليه :

فإنه بقدر إيمان الداعية بدعوته ، وتفهمه لضرورتها وحاجة الناس إليها ينجح في دعوته ، وبقدر ضعف هذا الإيمان ، والنظر إليها بأنها مهمة ثانوية يتهاون فيها ، ويتكل فيها على غيره ، ويتعثر في طريقه ، ويعطيها من فَضْل وقته ...

قال تعالى :

---

(١) يراجع على سبيل المثال : كتاب « الأدب المفرد » ، و « الآداب الشرعية » لابن مفلح ، و « غذاء الألباب » للسفاريني ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي ، و « الأخلاق الإسلامية » للشيخ : عبد الرحمن حبنكة الميداني . وغيرها من كتب الأخلاق والآداب . وانظر رسالة « صفات الداعية النفسية » للشيخ عبد الله علوان ، نشر دار السلام .

﴿ يايحيى خُذِ الكتاب بقوة ... ﴾ [1] وقال أيضاً :

﴿ فَخُذْها بِقوّة ، وأمُرْ قومَكَ يأخذوا بِأحسنها ﴾ [2] .

وقد كان تصميم رسول الله ﷺ على المضي في الدعوة تصميماً قوياً يقطع جميع أنواع التردد والمساومات ،

فقد ورد « أن قريشاً جاءت إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا ! فانْهَه عن أذانا ، فقال : ياعقيل ائتني بمحمد ، فذهبت فأتيته به ، فقال : يابن أخي : إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم ، فانته عن ذلك . قال : فَحَلّق رسول الله ﷺ إلى السماء ، فقال : أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم ، قال : « ماأنا بأقدر على أن أدَع لكم ذلك ، على أن تستشعلوا لي منها شعلة » قال : فقال أبو طالب : ماكذبنا ابن أخي ، فارجعوا » [3] .

ومن هنا ، وقف الرسول ﷺ يَتبيَّنُ يوم « بدر » مواقفَ أصحابه الذين خرجوا معه ، قبل أن يقدم على المعركة [4]، ليعلم مدى عزمهم وتصميمهم ...

---

(١) الآية / ١٢ / من سورة مريم .

(٢) الآية / ١٤٥ / من سورة الأعراف .

(٣) الحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٥/٦) ، وعزاه إلى « مسند أبي يعلى » وقال : ورجاله رجال الصحيح ، كما عزاه إلى « المعجم الكبير والوسط » للطبراني . ويُفضّل الاستدلال به بدلاً من الاستدلال بالرواية المشهورة التي فيها : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ... الخ » التي رواها ابن إسحق عن يعقوب ابن عتبة ـ أحد ثقات أتباع التابعين ـ مُعْضَلاً ، وإن كان أصلها موصولاً ـ كما ذكر الهيثمي ـ وانظر « سيرة ابن هشام » (٢٦٦/١) .

(٤) راجع « سيرة ابن هشام » (٦١٤/١) .

٢ ـ الاتصال الوثيق بمن يدعو إليه :

فالداعية أحوج من يكون إلى الاتصال الوثيق بالله عز وجل ، ليستمد منه العون والتوفيق .

ومن مظاهر هذه الصلة الوثيقة بالله :

أ ـ إخلاص النية له سبحانه في دعوته ، فلا يرجو من ورائها إلا رضاه ، ولا يتطلع من خلالها إلى مكاسب شخصية ، أو منافع دنيوية ، أو يتخللها شيء من الرياء ...

وإن أي غفلة عن الإخلاص ، قد تُحوِّلُ القَصْدَ ، وتُفسد النيّة ، فيضيع العمل ويحبط الأجر ، كما حدث للثلاثة الذين هم أول مَنْ تُسْعَر بهم جهنم ، وهم : عالم ، ومنفق ، ومُقاتِل [1] .

ب ـ محبة الله عز وجل ، والإكثار من عبادته وذكره ، لأن الداعية الوثيق الصلة بالله ، يحرص على طاعته ، والتقرب إليه ، بل يحرص على النوافل حرصه على الواجبات ، ويتجنب المكروهات اجتنابه للمحرمات ، ويزيد من القربات والطاعات حتى يتولاه الله في شؤونه جميعها ،

فقد جاء في الحديث الشريف :

« ... وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضتُ عليه ، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببتُه ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله

---

(١) انظر الحديث الذي رواه الإمام مسلم وغيره في ذلك ، « صحيح مسلم » (١٩٠٥) .

التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطِيَنّه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنّه ... »[1] .

إلى غير ذلك من مظاهر الصلة الوثيقة بالله عز وجل [2] .

٣ ـ العلم والبصيرة بما يدعو إليه :

لأن أهل العلم هم الذين يستطيعون القيام بحق الدعوة حق القيام ، وذلك بما أوتوا من ميراث رسول الله ﷺ ، ومن بصيرة بدينهم ، وما أكثر ما يسيء الجاهل إلى دعوته من حيث لايشعر ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هل يَسْتوي الذين يَعْلَمونَ والذينَ لايَعْلَمون ﴾ [3] .

وقال : ﴿ قُلْ هذه سبيلي أَدْعو إلى الله على بَصيرة ، أنا ومن اتَّبعني ﴾ [4] .

وانظر ما فعله العابد على جهل بالذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ثم جاء يسأله عن التوبة ...[5]

٤ ـ العَملُ بالعِلْم والاستقامةُ في السلوك :

فلا خير في داعية لا يوافق علمه عمله ، ولايستقيم سلوكه ، وإن

---

(١) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٥٠٢)(٣١٤/١١) .

(٢) راجع في ذلك كتاب « الدعوة إلى الإسلام وأركانها » وكتاب « الإيمان : خصائصه وثمراته » للوالد الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ـ رحمه الله ـ .

(٣) الآية / ٩ / من سورة الزمر .

(٤) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

(٥) انظر الحديث المتفق عليه في « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٤٧٠)(٥١٢/٦) وفي « صحيح مسلم » رقم (٢٧٦٦) .

من أخطر مايصاب به الدعاة انفصالَ علمهم عن عملهم ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تَفْعلون * كَبُرَ مَقْتاً عند الله أَنْ تَقولوا مالا تَفْعلون ﴾ [1] .

كما قال على لسان نبيه شعيب عليه السلام :

﴿ وما أُريدُ أَنْ أُخالِفَكم إلى ما أَنْهاكم عنه ، إِنْ أريدُ إلا الإصلاحَ مااستطعتُ ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلتُ وإليه أُنيب ﴾ [2] .

وإن من أثر انفصال العلم عن العمل في الدنيا : أن يقول المدعوون : لو كان هذا صادقاً فيما يدعونا إليه ، لطبق ذلك على نفسه وعلى من يلوذ به ، وكان أسرع الناس إليه ... وما أضعف موقف الداعية الذي يتحدث عن محاسن الإسلام وصلاحية تطبيقه في كل زمان ومكان ، ثم لايُرى أثر ذلك في نفسه وأسرته !! فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال .

ويكفي في أثر ذلك في الآخرة ، أن يصبح مصير هذا الداعية ، مصيرَ ذلك الذي تندلق أقتاب بطنه في النار ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« يُؤْتى بالرجل يومَ القيامة ، فيُلْقَى في النار ، فتَنْدَلِقُ أقتابُ بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرَّحا ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان مالَكَ ؟ ألم تكُ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

---

(١) الآيات / ٢ ـ ٣ / من سورة الصف .

(٢) الآية / ٨٨ / من سورة هود عليه السلام .

فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه »[1] .

٥ ـ الوَعْي الكامل :

وهو إدراك مايحيط بالدعوة ، فلا يغني العلم عن الوعي ، فلابد للداعية من وعي شامل بعدة أمور :

أ ـ بواقع الدعوة ومتطلباتها في عصره .

ب ـ بواقع المدعوين من حوله .

جـ ـ بواقع الداعية نفسه ، وما يحيط به من ظروف وأحوال .

فإذا لم يَعِ الداعية هذه الأمور ، تخبط في دعوته ، وجَرَّ إليها النكبات والكوارث من حيث يريد الإصلاح ، شعر بذلك أو لم يشعر ،

فعلى أساس هذا الوعي : توضعَ الخطط ، وتُحدَّدُ الأولويات ، وتُعْقَد الموازنات ، وبالوعي تكتمل بصيرة الداعية بدعوته .

٦ ـ الحكمة في الأسلوب :

فعلى الداعية أن يكون حكيماً في أسلوب دعوته ، يختار لمن يدعوهم الأسلوب الحسن المناسب ، فيضع كل أسلوب في محله ، والحكيم هو من يحسن الاختيار ، ويضع الشيء في محله . قال تعالى :

﴿ يُؤْتي الحكمةَ من يشاء ، ومن يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً ﴾[2] . وقال :

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٢٦٧)(٦/٣٣١) و « صحيح مسلم » رقم (٢٩٨٩) .

(٢) الآية / ٢٦٩ / من سورة البقرة .

﴿ ادْعُ إلى سَبيلِ ربكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجَادِلْهم بالتي هي أَحْسَن ﴾[1] . وسيأتي معنا مزيد بيان لأوجه الحكمة في الفصل المتعلق بالمناهج والأساليب والوسائل ـ إن شاء الله ـ .

٧ ـ التخلق بالخلق الحسن :

إذا كان الاتصال الوثيق بالله عز وجل أهم صفةٍ في جانب صلة الداعية بالله ، فإن التخلق بالخلق الحسن أهم صفة في جانب صلة الداعية بالمدعوين . وقد وصف الله عز وجل الداعية الأول رسوله ﷺ بقوله :

﴿ وإنَّكَ لعَلى خُلُقٍ عظيم ﴾[2] ، وبين له أهمية الخلق بقوله :

﴿ فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كنتَ فَظاً غليظَ القلب لانفَضُّوا من حَوْلك ، فاعفُ عنهم ، واستغفِرْ لهم ، وشاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمْتَ فتوكَّلْ على الله ، إنَّ الله يُحِبُّ المتوكلين ﴾[3] .

ووصف الصحابةُ رسولنا ﷺ بأنه كان أحسن الناس خُلُقاً[4] .

وبين لنا رسول الله ﷺ مكانة الخلق الحسن ، فقال :

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٤ / من سورة القلم .

(٣) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

(٤) كما ورد في الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٢٠٣)(١٠/٥٨٢) ، وانظر « صحيح مسلم » رقم (٢١٥٠) ، وانظر « شرح مسلم للنووي » (١٥/٧٠ و ٧١) .

« أكمل المؤمنين إيماناً ، أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم »[1]

وقال :

« ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيّ »[2] .

وكان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ معاذاً حين أرسله إلى اليمن ، أن قال له :

« أَحْسِنْ خُلُقَكَ للناس ، يامعاذ بن جبل »[3] .

فعلى الداعية أن يجاهد نفسه للتحلي بالأخلاق الحسنة ، والتخلّي عن الأخلاق السيئة ، فإن العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، وجاء في الحديث الشريف :

« ومن يَستَعْفِف يُعفّه الله ، ومن يَستَغْنِ يُغْنِه الله ، ومن يتصبّر يصبرّه الله ... »[4] .

والأخلاق الحسنة كثيرة فصلها علماء الأخلاق في مصنفاتهم ، فليُرْجَعْ إليها ، ولتجاهَدِ النفوس على التحلي بها .

(١) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » رقم (١١٦٢) .

(٢) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » رقم (٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤) .

(٣) الحديث أخرجه مالك في « الموطأ » باب حسن الخلق رقم (١) ، انظر « موطأ مالك » ص (٥٦٣) ط : كتاب الشعب .

(٤) هذا جزء من حديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦٤٧٠) (١١/ ٣٠٣) و « صحيح مسلم » رقم (١٠٥٣) .

٨ ـ إحسان الظن بالمسلمين :

على الداعية أن يحسن الظن بالمسلمين جميعاً ، وأن يُجري أحكامه فيهم على الظاهر ، ويكل أمر السرائر إلى الله تعالى ،

قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ... ﴾[1] .

وجاء في الحديث الشريف :

« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ... »[2] ، وجاء فيه أيضاً :

« حسن الظن من حسن العبادة »[3] .

ولا يستلزم إحسان الظن بالناس الغفلة عن واقعهم ، والسكوت عن أخطائهم ، ولكنه قد يستلزم حَمْلَ أقوالهم وأفعالهم على الأصلح .

كما لايتعارض حسن الظن مع الحذر ، قال تعالى : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾[4] وقال : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾[5] وقد اشتُهِر عن عمر بن الخطاب

(١) الآية / ١٢ / من سورة الحجرات .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٥١٤٣) و « الفتح » (١٩٨/٩) و « صحيح مسلم » (٢٥٦٣) .

(٣) الحديث رواه أبو داود رقم (٤٩٩٣) و (٢٩٨/٤) ط : محيي الدين عبد الحميد ، وانظر « فيض القدير » للمناوي (٣٨٥/٣) .

(٤) الآية / ١٤ / من سورة التغابن .

(٥) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

رضي الله عنه ، قوله :

« لست بالخَبّ ، ولا الخب يخدعني »[1] .

٩ ـ أن يَسْتُر على الناس عيوبهم :

قال تعالى :

﴿ إن الذين يُحبّون أن تَشيعَ الفاحِشَةُ في الذين آمنوا ، لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة ﴾[2] .

وجاء في الحديث الشريف :

« لايَسْتُر عبدٌ عبداً في الدنيا ، إلا ستره الله يوم القيامة »[3] .

فإن الداعي في دعوته مَثَلُه مثلُ الطبيب في مهنته ، قد يَطّلع على بعض العورات ليعالجها ، فيجب عليه سَتْرها وعدمُ فَضْح صاحبها .

١٠ ـ أن يخالط الناس حيث تَحسن الخلطة ، ويعتزلهم حيث يحسن الاعتزال :

فإن مِن مستلزمات عمل الداعية مخالطة الناس لدعوتهم إلى الخير ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وقد جاء في الحديث الشريف :

« المؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، أفضل من

---

(١) « سِراجُ الملوك » للطرطوشي ص(٥٦) نقله عنه كتاب « أخبار عمر » للطنطاويين ص(٢٦٦) الطبعة الثامنة .

(٢) الآية / ١٩ / من سورة النور .

(٣) الحديث رواه مسلم ، « صحيح مسلم » رقم (٢٥٩٠) .

المؤمن الذي لايخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم »[1] .

وللخلطة شروط وآداب بَيّنها العلماء ، لابد من ملاحظتها [2] ، قال تعالى :

﴿ وإذا رأيتَ الذين يَخُوضونَ في آياتنا ، فأعْرِضْ عنهم حتى يَخوضوا في حديثٍ غيره ﴾[3] .

وقال أيضاً :

﴿ وقد نَزّلَ عليكم في الكتاب أَنْ إذا سَمِعْتُم آياتِ الله يُكفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها ، فلا تَقْعدوا معهم حتى يَخوضوا في حديثٍ غَيْرِه ، إنكم إذاً مِثْلُهم ﴾[4] .

وقد بين رسول الله ﷺ أن أول مادخل النقص على بني إسرائيل ، كان من وراء الخلطة غير المنضبطة لأصحاب المعاصي والمنكرات [5] .

ولايخفى على عاقل مايفعله الأطباء المعالجون للمرضى من الاحتياطات والتحفظ من أمراض الناس مخافة التلوث بها ، وانتقالها إليهم ...

---

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما ، وهو حديث صحيح ، انظر تعليق رياح والدقاق على « رياض الصالحين » ص ٢٨١ .

(٢) راجع باب « فضل الاختلاط بالناس ... الخ ... » في « رياض الصالحين » ص ٢٨١ .

(٣) الآية / ٦٨ / من سورة الأنعام .

(٤) الآية / ١٤٠ / من سورة النساء .

(٥) انظر الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن ، « سنن أبي داود » رقم (٤٣٣٦) والترمذي (٣٠٥٠) .

١١ ـ أن يُنْزِلَ الناس منازلهم ، ويعرف لأهل الفضل فضلهم :

ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها : « أمرنا رسول الله ﷺ أنْ نُنْزِلَ الناسَ منازِلَهم »[١]. وفي الحديث الآخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده :

« قال : قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شَرَفَ كبيرنا »[٢] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى ، إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه ، والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المُقْسط »[٣] .

فعلى الداعية ملاحظة مستويات الناس وتفاوتها ، وأن ينزل الناس منزلتهم ، « فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهلُ الفضل »[٤] .

---

(١) الحديث رواه مسلم تعليقاً في مقدمة صحيحه ، وقال عنه العجلوني بعد أن ذكر له طرقاً : « وبالجملة فحديث عائشة حسن ، وقال في التمييز : وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه معرفة علوم الحديث ، وقال : حديث صحيح » « كشف الخفاء » (١/٢٢٤ و ٢٢٥) .

(٢) الحديث : رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ، وقال عنه الترمذي : حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » (١٩٢١) وأبي داود (٤٩٤٣) .

(٣) الحديث : رواه أبو داود ، رقم (٤٨٤٣) ، وحسنه النووي والعراقي وابن حجر ، انظر « رياض الصالحين » ص ١٧٣ ، وتعليقات رياح والدقاق .

(٤) روي هذا القول حديثاً من طريقين ، قال عنهما العجلوني في « كشف الخفاء » (١/٢٥٠) : « والحديثان ضعيفان ، ولكن المعنى صحيح كما قاله السخاوي ... » .

١٢ ـ أن يتعاون مع غيره من الدعاة ، ويشاورهم ويتناصح معهم :

قال تعالى :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [١]، وإن العمل الدعوي من أعظم أوجه البر الذي يتطلب التعاون والتشاور والتناصح ، قال تعالى :

﴿ وأَمْرُهم شورىٰ بَيْنَهم ﴾ [٢] .

وفي الحديث الشريف :

« الدين النصيحة ، قلنا : لِمَنْ ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[٣] .

وإن العمل بهذا الأدب الدعوي يُعمِّقُ المحبة بين الدعاة ، ويَدْفع الشرور عنهم ، ويعالج إعجابَ كل ذي رأي برأيه .

إلى غير ذلك من صفات وآداب دعوية لاتخفى على العالم البصير ، والداعية الحريص ... ولابد لتحصيل مثل هذه الصفات والآداب من مجاهدة قوية مستمرة ، قال تعالى :

﴿ والذين جاهَدوا فينا ، لنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا ، وإنَّ الله لَمَعَ المحسنين ﴾ [٤] .

---

(١) الآية / ٢ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٣٨ / من سورة الشورى .

(٣) الحديث رواه مسلم وغيره ، انظر « صحيح مسلم »(٥٥) .

(٤) الآية / ٦٩ / من سورة العنكبوت .

إعداد الداعية :

لابد لتكوين الدعاة ، وتربيتهم على الصفات الكريمة ، والآداب الحميدة التي سبق ذكرها من إعْدادٍ خاص للقيام بوظيفتهم على أحسن وجه .

ولعل من أبرز معالم هذا الإعداد :

١ ـ العناية بتنشئتهم على تعلم أحكام الإسلام ، وخصائصه وآدابه ، وتسليحهم بجميع المستلزمات الدعوية ...

٢ ـ العناية بمدارسة القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة معهم على وجه يراد منه التلقّي والتأسي والاتّباع ...

٣ ـ العناية بصحبة العلماء العاملين ، والدعاة الربانيين ، والمربيّن الصادقين ، ليقبسوا من هديهم ، ويستفيدوا من خبراتهم وأساليبهم ...

٤ ـ تعميق معاني الأخوة الإيمانية فيما بينهم ، ليتبادلوا حقوقها ، ويشعروا بفائدتها .

٥ ـ العناية بمدارسة التطبيقات الدعوية ، ومناقشة الأخطاء لتلافيها والإفادة منها .

وما إلى ذلك من معالم لاتخفى على المهتمين ...

* * *

٢ ـ الركن الثاني :

« المدْعوّ »

تعريفه : سبق أن عرفنا المدعو في التمهيد بأنه :

« مَنْ تُوجّهُ إليه الدعوة » وهو الإنسان مطلقاً قريباً أو بعيداً ، مسلماً أو كافراً ، ذكراً أو أنثى ...

ولايمنع هذا التعميم في تعريفه ، أن يكون الأقربون من الداعية أولى الناس بالدعوة ، وأحق بها من غيرها ، فالأقربون أولى بالمعروف ، قال تعالى :

﴿ وأَنذِرْ عَشيرَتَكَ الأقربين ﴾ (١) .

وأقرب الأقربين إلى الداعية نَفْسُه التي بين جنبيه ، قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفلحَ من زكّاها ، وَقَدْ خابَ من دَسّاها ﴾ (٢) .

ثم أهله وأسرته ، قال تعالى :

﴿ ياأيُّها الذين آمَنوا قُوا أَنْفُسَكم وأَهْليكُم ناراً ... ﴾ (٣)

وقال :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصلاةِ واصْطَبِرْ عَليها ... ﴾ (٤) .

ثم يأتي جميع الأقارب والأرحام ، الأقرب فالأقرب ، ثم يعم الأمر الجيران وغيرهم من الناس .

(١) الآية / ٢١٤ / من سورة الشعراء .

(٢) الآية / ٩ ـ ١٠ / من سورة الشمس .

(٣) الآية / ٦ / من سورة التحريم .

(٤) الآية / ١٣٢ / من سورة طه .

وقد أسهبت في بيان هذا التفصيل والترتيب دفعاً للغفلة التي يقع فيها كثير من الدعاة اليوم ، حيث يُشْغَلون بدعوة الآخرين عن دعوة أنفسهم ، أو يهتمون بدعوة الأباعد أكثر من دعوة الأقارب .

قال تعالى :

﴿ أَتَأْمُرونَ الناسَ بالبِرِّ وتَنْسونَ أَنْفسَكُم ، وأَنْتم تَتْلونَ الكتابَ ، أَفلا تَعْقِلون ! ﴾ (١) .

حَقُّ المَدْعو :

إن للمَدْعو حقوقاً ، كما أن عليه واجبات ، ولعل أهم حق للمدعوين في عنق الدعاة :

أن يُقصَدوا ويُدعَوا ، أو يُرسَل إليهم ، وأن لاتكون الدعوة لهم عَرَضاً أو مصادفة ... كما أن من حقوقهم : أن يُحرَص عليهم جميعاً ، ولايُستهان بواحد منهم أياً كان شأنه ...

فقد أرسل الله عز وجل رسله إلى الناس ، إعطاءً لحقهم من جهة ، وإقامة للحجة عليهم من جهة أخرى .

لذا ، قرر الشارع عدم تعذيب قوم حتى تقام الحجة عليهم ، ويُعطوا حقهم في الدعوة ، قال تعالى :

﴿ وما كنا مُعَذِّبين حتى نَبْعَثَ رسولاً ﴾ (٢) .

وقد قام رسول الله ﷺ بوفاء هذا الحق ، فبشر وأنذر ، وخرج أصحابُهُ بعده بالدعوة ، فنشروا الدين في الآفاق ، وأقاموا الحجة على

(١) الآية / ٤٤ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ١٥ / من سورة الإسراء .

الناس كافة . فإن الأمة المسلمة لم توجد لنفسها ، وإنما وُجِدَت لتنقذ الناس من الظلمات إلى النور ، فكانت الأمة الداعية ،

قال تعالى :

﴿ كنتم خَيْرَ أمة أُخْرِجَت للناس ، تَأْمرون بالمعروف وتَنْهون عن المُنْكر ، وتُؤمنون بالله ﴾ (١) .

ولم يفرق رسول الله ﷺ في عرض دعوته وتبليغها للناس بين كبير وصغير ، وذكر وأنثى ، وقريب وبعيد ،

ولم تشغله دعوته للأقارب عن دعوة الأباعد ، ودعوته لعامة الناس عن دعوة زعمائهم ورؤسائهم ، ودعوة الأقوياء عن دعوة الضعفاء ، ولما وقع في شيء من ذلك اجتهاداً منه ﷺ في تقديم الأولويات ذُكِّر في ذلك ، فقال سبحانه :

﴿ عَبَسَ وتَولّى ۞ أَنْ جاءَه الأَعمىٰ ۞ وما يُدريك لعله يَزَّكّىٰ ۞ أو يَذَّكَّرُ فتَنْفَعَه الذِكْرى ﴾ (٢) فما كان منه ﷺ بعد ذلك أن يزهد بأحد ، حتى إنه لما لَقِيَ عند العقبة ستة نفر من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم ، لم يزهد بهم وهم على هذه الحال ، فأقبل إليهم وعرض عليهم دعوته ، فكانوا النواة الأولى لبيعة العقبة ، في الوقت الذي أعرض فيه عنه كثير من الرجال وزعماء القبائل ... (٣)

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

(٢) الآيات / ١ ـ ٤ / من سورة عبس .

(٣) أخرج هذا الخبر أبو نعيم في « الدلائل » ص (١٠٥) ، ونقله الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي في كتابه : « حياة الصحابة » (١٠٤/١) تحقيق الشيخ نايف العباس ، ومحمد علي دولة .

واجب المدعو :

إن أهم واجب على المدعو تجاه الدعوة :

أن يستجيب لدعوة الحق ، فلا يمنعه من الاستجابة مانع ، سواء أكان عادةً اعتادها ، أم جهلاً أم كِبْراً في نفسه ، أم ضعفاً في شَخْص الداعي ، أم تقصيراً فيه ، وما إلى ذلك ...

قال الله تعالى في وصف المؤمنين :

﴿ إنما كان قَولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله لِيَحْكُمَ بينهم ، أنْ يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

كما قال في وصف الكافرين :

﴿ ويقولون سَمِعنا وعَصَيْنا ... ﴾ (٢) .

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستجابة للحق فقال :

﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم ... ﴾ (٣) .

وإذا كان من حق المدعو أن يُدعى ، ولا يُهمل ، فإن من واجبه أن يستجيب فلا يُعْرِض .

أصناف المدعوّين :

ينقسم الناس بعد أن تُوجَّه إليهم الدعوة ، فيستجيب لها من يستجيب ،

(١) الآية / ٥١ / من سورة النور .
(٢) الآية / ٤٦ / من سورة النساء .
(٣) الآية / ٢٤ / من سورة الأنفال .

ويعرض عنها من يعرض إلى أصناف متعددة ،

قال تعالى :

﴿ كان الناس أمةً واحدةً ، فبَعَثَ اللهُ النبيينَ مبشرين ومُنذرين ، وأنْزلَ معهم الكتابَ بالحق ليَحْكُمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وماختلف فيه إلا الذين أُوتوهُ مِنْ بَعْدِ ماجاءتهم البينات بَغْياً بينهم ، فَهَدىٰ اللهُ الذينَ آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه ، والله يَهْدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (١) .

فيكون الناس بين مهتد وضال ، ومستجيب ومعرض ، كما يكون منهم من يتظاهر بالهداية وهو على كفره ، قال تعالى :

﴿ ومِنَ الناس مَنْ يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخر ، وماهم بمؤمنين * يُخادِعون الله والذين آمنوا ، ومايَخْدَعون إلا أنفسَهم ومايَشعُرون * في قلوبهم مرض فزادَهم الله مَرَضاً ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ (٢) .

وقد جاء في أوائل سورة البقرة ذكر ثلاثة أصناف من الناس : المؤمنين ـ والكافرين ـ والمنافقين .

ومِنْ تَتَبُّعِ النصوص الشرعية الواردة في أصناف الناس ، نستطيع تقسيم المدعوين إلى صنفين أساسيين ، هما :

أ ـ المسلمون أو المؤمنون : وهم المعروفون في الاصطلاح الدعوي

(١) الآية / ٢١٣ / من سورة البقرة .
(٢) الآية / ٨ ـ ١٠ / من سورة البقرة .

بأمة (الاستجابة) ، وهم أصناف متعددة ـ كما سيأتي معنا ـ

ب ـ الكافرون أو(غير المسلمين) : الذين يدخلون في الاصطلاح في (أمة الدعوة) ، وسيأتي معنا تصنيفهم أيضاً .

أ ـ أصناف المسلمين :

يمكننا تصنيف المسلمين من حيثيتين :

١ ـ من حيث الاهتداء والضلال .

٢ ـ من حيث قوة أو ضعف التزامهم بالإسلام .

فمن الحيثية الأولى ينقسمون إلى : (مسلمون مهتدون) ، و(مسلمون ضالون) ، وهذا التقسيم غالباً مايستعمل في مقام الحكم على العقائد ، وبيان سلامتها ، وذلك لأن المسلم قد يضل في عقيدته ضلالاً لايخرجه عن الملة الإسلامية ، كأن يكون صاحب بدعة خطيرة في العقيدة لايُكفَر بها ، وذلك كمن أنكر مسألة أصلية شرعية متأولاً بدليل أو شبهة ـ كما وقع في هذا الشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرهم على وجه عام ، أما أفرادهم فقد يكون فيهم الضال أو الكافر بحسب مايصدر عنهم من مكفر في القول أو العمل ـ [1] .

ومن الحيثية الثانية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

(١) راجع حكم هذه الأصناف في مختلف كتب العقائد ، وانظر « الاعتصام » للشاطبي (١٨٥/٢ ...)و (٢٠٠/٢ ـ ٢٢٣) و (٢٢٦/٢ ـ ٢٣٠) و « مجموع فتاوى ابن تيمية »(٩٩/٣٥ ـ ١٠٤) وانظر « الكفر والمكفرات » للوالد الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ـ رحمه الله تعالى ـ وانظر « لوامع الأنوار البهية » للسفاريني (٧٦/١ ـ ٩٣) نشر مؤسسة الخافقين .

أ ـ سابق بالخيرات : وهو التقي الصالح .

ب ـ وظالم لنفسه : وهو الفاسق الفاجر .

جـ ـ ومقتصد : وهو الضعيف المتردد بين الصنفين السابقين .

قال تعالى :

﴿ ثم أَوْرَثْنا الكتابَ الذين اصطَفَيْنا من عبادنا ، فَمِنْهم ظالمٌ لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِد ، ومنهم سابِقٌ بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [1] .

وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً .

وقد يوجد في بعض هذه الأصناف ، بعض صفات الكافرين والمنافقين وأعمالهم مما يؤاخذون عليه ، وإن لم يخرجهم من الملة ، ومن هنا قيل : هناك كفر دون كفر ، وضلال دون ضلال [2]، ومنه سميت مشابهة المنافقين في أعمالهم (بالنفاق العملي) .

فقد ورد في الحديث الشريف : « من حَلَف بغير الله فقد كفر أو أشرك »[3] أي عَمِلَ عَمَلَ أهل الشرك ، وعُبِّر عنه بالشرك تغليظاً لفعله ،

(١) الآية / ٣٢ / من سورة فاطر .

(٢) انظر ما فعله البخاري في ترجمته لبعض الأبواب بقوله : « كفرٌ دون كفر ، وظلم دون ظلم » في « الفتح » (٨٣/١ و ٨٧) .

(٣) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، انظر « سنن الترمذي » (١٥٣٥) وجاء في التعليق على « رياض الصالحين : ص ٦٤٩ » وأخرجه أحمد (٣٤/٢ و ٦٩ و ٨٦ و ٨٧) ، وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم (٢٩٧/٤) ووافقه الذهبي .

وتنفيراً منه [1] .

كما ورد فيه أيضاً :

« أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خَصْلةٌ منهن ، كانت فيه خَصْلة من نفاق حتى يَدَعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدَّث كَذَب ، وإذا عاهد غَدَر ، وإذا خاصم فَجَر » [2] .

هذه هي أبرز أصناف (المؤمنين أو المسلمين) .

وتكون دعوة كل صنف من هذه الأصناف ، كل بحسب حاله وموقعه من الاستجابة للحق والالتزام بالهدى ، فيُدعى السابق بالخيرات إلى الازدياد من الخير والتحقق بالتقوى ، وهو ميدان فسيح لانهاية له ... قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمَنوا ، آمِنوا ... ﴾ [3] وقال :

﴿ ياأيها الذين آمَنوا اتقوا الله حَقَّ تُقاتِه ، ولاتموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾[4] .

---

(١) يقول الإمام النووي تعليقاً على هذا الحديث : « وفسَّر بعض العلماء قوله « كفر أو أشرك » على التغليظ ، كما روي أن النبي ﷺ قال : « الرياء شِرك » « رياض الصالحين » ص ٦٤٩ ، وانظر « فيض القدير » للمناوي (١٢٠/٦) .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٤) و (٨٩/١) و « صحيح مسلم » رقم (٥٨ و ٥٩) . ونقل الحافظ ابن حجر عن الكرماني قوله : « ... أو ليعلم منه أن بعض النفاق كفر دون بعض ، والنفاق : لغة : مخالفة الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاقُ العمل ... » كما نقل عن النووي قوله : « والذي قاله المحققون : إن معناه أن هذه خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم » . « الفتح » (٨٩/١ و ٩٠) .

(٣) الآية / ١٣٦ / من سورة النساء .

(٤) الآية / ١٠٢ / من سورة آل عمران .

ويُدعى الظالم لنفسه إلى الرجوع عن فسقه وفجوره ، وإلى الالتزام بأمر الله وحكمه ، والتوبة من ظُلمه لنفسه ،

ولكم دعا القرآن الكريم الزناةَ والمرابين والعصاة إلى التوبة !!

ويُدعى المقتصدُ إلى الثبات على الطاعة ، وتجنب المعصية ، كما يُدعى إلى الترقي بحاله إلى حال المتقين السابقين بالخيرات ، قال تعالى :

﴿ قل : ياعبادِيَ الذين أَسْرفوا على أَنْفُسِهم لاتَقْنطوا من رحمة الله ، إنَّ الله يَغفِرُ الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [1] .

وقال :

﴿ إن الذين اتقوا إذا مَسَّهم طائفٌ من الشيطان ، تَذكَّروا ، فإذا هم مُبْصرون ﴾ [2] .

وبهذا تكون دعوة كل مسلم من حيث هو قائم ، فلا يُسوّى بين الأصناف الثلاثة في أسلوب الدعوة ولا فيما يُدعى إليه .

كما يُدعى المسلمون (الضالون) أي : الذين وقعوا في شيء من الضلال العقدي ، إلى تصحيح عقائدهم ، والرجوع عن ضلالهم ، قبل دعوتهم إلى الأحكام الفرعية ، والمسائل الجزئية ...فإذا ثابوا إلى طريقة أهل السنة والجماعة ، كانوا أحد الأصناف الثلاثة السابقة . وإن لهؤلاء أساليب دعوية تناسبهم في دحض شبهاتهم ، ودفع تأولاتهم الباطلة ، لاتخفى على أهل العلم والاختصاص .

---

(١) الآية / ٥٣ / من سورة الزمر .

(٢) الآية / ٢٠١ / من سورة الأعراف .

ب ـ أصناف الكافرين :

يمكن تصنيف الكافرين (غير المسلمين) إلى مايلي :

١ ـ الجاحدون الملحدون : وهم الذين ينكرون وجود الله عز وجل ويجحدونه ، كما هو حال (الدهريين) في القديم الذين كانوا يقولون كما أخبر عنهم القرآن الكريم :

﴿ إِنْ هِيَ إلا حياتُنا الدنيا ، نَموتُ ونَحْيا ، وما نَحْن بِمَبْعوثين ﴾ (١) ﴿ وقالوا : ما هي إلا حياتُنا الدنيا نموتُ ونَحيا ، ومايُهلكنا إلا الدهر ، ومالَهُم بذلك من علْم ، إِنْ هم إلا يَظُنّون ﴾ (٢) .

وكما هو حال الشيوعيين اليوم الذين يقولون « لا إله ، والحياة مادة » ويقولون : « الدين إفيون الشعوب » مما هو مشهور عنهم .

٢ ـ المشركون الوثنيون : وهم الذين أشركوا مع الله غيره في الاعتقاد أو العبادة ، مثل مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين في الأمم الأخرى ، الذين أخبرنا الله عنهم بقوله :

﴿ والذين اتَّخذوا من دونه أَولياءَ ، مانَعْبُدُهم إلا لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلْفى ، إن الله يَحكُمُ بينهم فيما هم فيه يختلفون ، إن الله لايهدي من هو كاذبٌ كَفّار ... ﴾ (٣) .

وقد يتفرع هذان الصنفان إلى صنفين آخرين :

---

(١) الآية / ٣٧ / من سورة المؤمنون .

(٢) الآية / ٢٤ / من سورة الجاثية .

(٣) الآية / ٣ / من سورة الزمر .

أ ـ كافر أصلي : وهو الذي نشأ على الكفر والجحود والوثنية .

ب ـ كافر مرتد : وهو الذي كان مسلماً ثم ارتد إلى شيء من ذلك .

ولكل صنف من هؤلاء أحكامه الخاصة به ، ويُدعوا جميعاً إلى الإيمان بالله وحده ، وإلى الرجوع عن كفرهم وشركهم ... وما أكثر الآيات التي تعرضت لدعوتهم في القرآن الكريم ! !

٣ ـ أهل الكتاب : وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ من أهل الديانات السابقة : كاليهود والنصارى ، وسُمّوا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة ، وخُصّوا بهذا الوصف وإن وقع كثير منهم في الشرك والوثنية ، باعتبار الأصل ، كما خصهم الله بعدد من الأحكام ...(١)

ويُدعى هذا الصنف كغيره إلى الإيمان بالله وحده ، والإيمان بأركان الإيمان ، وأن الإسلام خاتم الأديان ، فإن هم استجابوا لذلك ، دعوا إلى غير ذلك من أعمال : كالصلاة والصيام ، فقد جاء في حديث معاذ رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال له :

« إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات .. الحديث »(٢) .

وهم لايخرجون في الحكم العام عن وصف الكافرين ، لأنهم لم

---

(١) من ذلك : قبول الجزية منهم في الحرب ، وحل ذبائحهم للمسلمين ، وحل الزواج من نسائهم ، إلى غير ذلك من أحكام تعرف في كتب الفقه والأحكام : بأحكام أهل الذمة ، راجع كتاب « أحكام أهل الذمة » لابن القيم وغيره .

(٢) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٣٤٧)(٦٤/٨) .

يستجيبوا لدعوة محمد ﷺ ، قال تعالى :

﴿ ومن يَبْتَغِ غيرَ الإسلام ديناً ، فلن يُقْبَلَ منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [1] .

٤ ـ المنافقون : وهم الذين يُبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ، وهم أخطر أصناف الكافرين لالتباس أمرهم على الناس ، وخداعهم لهم ، حيث يدخلون ظاهراً بين المؤمنين ، ولهذا كان جزاؤهم أشد من جزاء غيرهم ، قال تعالى :

﴿ إنَّ المنافقينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ من النار ، ولَنْ تَجِدَ لهم نَصيراً ﴾ [2] .

كما قال تعالى في أوصافهم :

﴿ إنَّ المنافقينَ يُخادِعونَ اللهَ وهو خادِعُهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسَالىٰ ، يُراؤون الناسَ ، ولايذكرونَ اللهَ إلا قليلاً * مُذَبْذَبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يُضلل الله فَلَنْ تَجِدَ له سبيلاً ... ﴾ [3] .

كما قال عنهم :

﴿ وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خَلَوا إلى شياطينهم ،

(١) الآية / ٨٥ / من سورة آل عمران ، وانظر الآيات / ٨٠ ـ ٩١ / من السورة نفسها ، ففيها تعدادٌ لأصنافهم وبعض صفاتهم ، وحكمُ الله عليهم بالكفر ..

(٢) الآية / ١٤٥ / من سورة النساء .

(٣) الآيات / ١٤٢ ـ ١٤٣ / من سورة النساء .

قالوا : إنا معكم إنما نَحنُ مُسْتَهْزِئون الآيات ... ﴾ [1] .

وهؤلاء يدعون أيضاً إلى الإيمان بالله ، وترك النفاق ـ كما يُدعى غيرهم من الكافرين ـ ولكل صِنْف أسلوبه في الدعوة ، فلا يُدعى من ظهر كفره كدعوة من خفي كفره ، وهكذا ...

وإن غير المؤمنين في كل عصر ومصر ، لايخرجون عن هذه الأصناف الأساسية للكافرين ، مهما اختلفت أسماؤهم ، وتنوعت أساليبهم ، فقد وُجِدوا في زمنه ﷺ ، ويوجدون في الناس إلى يوم القيامة ...

والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، حافلان بأساليب دعوتهم ، ومنهج مواجهتهم ، وقد كتبت أبحاث متخصصة في أسلوب دعوة بعضهم تفيد الدعاة في دعوتهم [2] .

* * *

(١) الآيات / ١٤ ـ ٢٠ / من سورة البقرة .

(٢) من ذلك بحث « منهج القرآن في مجادلة أهل الكتاب » للباحث : أحمد عبدالله السديس ، قدمه بإشرافي إلى قسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير ، عام ١٤٠٩ هـ .

٣ ـ الركن الثالث :

« موضوع الدعوة »

موضوع الدعوة الإسلامية هو « الإسلام الذي يُدعى الناس إليه » ولما كان الحديث عن الإسلام واسعاً ، وجوانبه متعددة ، وتتحدَّثُ عنه جميع العلوم الإسلامية ، رأيت الاقتصار في هذا المقام على ذكر مجمل لعدة أمور :

١ ـ تعريفه .

٢ ـ خصائصه .

٣ ـ مبادئه الأساسية .

وذلك تحرياً للاختصار من جهة ، ودفعاً للتكرار من جهة أخرى .

١ ـ تعريفه :

الإسلام في **اللغة** : مشتق من الاستسلام ، وهو الخضوع والانقياد ، وسمي المسلم مسلماً لخضوعه وانقياده لما جاء به محمد ﷺ .

أما في **الاصطلاح** : فله إطلاقان : عام وخاص .

أ ـ الإطلاق العام : على جميع الأديان السماوية التي اشتملت على الخضوع والانقياد لما جاء عن الله عز وجل .

ب ـ والإطلاق الخاص : على ماجاء به محمد ﷺ ، ولهذا الإطلاق تعريفان في الاصطلاح عام وخاص :

فالإسلام بمعناه العام : هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ ، والذي يشتمل عل جانب العقيدة والشريعة والأخلاق .

والإسلام بمعناه الخاص : ما عرفه به الرسول ﷺ في حديث عمر

رضي الله عنه لما سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام بمقابل الإيمان والإحسان ، قال :

« الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ... »[١] .

والإسلام بمعناه العام يشتمل على جوانب ثلاثة :

١ ـ جانب العقيدة :

ويتمثل في الإيمان وأركانه الستة التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل وهي :

« أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ... »[٢] .

كما تُلْحَقُ بهذا الجانب جميعُ المسائل العقدية التي جاء بها الإسلام ، والتي يطلق عليها بعضهم اسم (نظام العقيدة في الإسلام) .

٢ ـ جانب الشريعة :

ويتمثل في أركان الإسلام التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل ، وفي جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام ، سواء على المستوى الشخصي والأسري ، والمستوى العام ، فيشمل مايسمى (بنظام العبادة ، ونظام المعاملة والاقتصاد ، وبنظام الأحوال الشخصية ، ونظام الحكم والسياسة ، ونظام الاجتماع ، ونظام الحسبة ، ونظام الجهاد وما إلى ذلك ...) مما أوفت ببيانه كتب الفقه والأحكام .

---

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه ، انظر « صحيح مسلم » (٨) .

(٢) انظر الحديث السابق الذي رواه مسلم رقم (٨) .

٣ ـ جانب الأخلاق :

ويتمثل في الأخلاق الكريمة والصفات الحسنة ، والسلوك المستقيم الذي جاء به الإسلام ، وبعث رسول الله ﷺ ليتممه أو يقرره ... والذي منه الإحسان الذي بَيّنه ﷺ في حديث جبريل السابق ، لما سئل عن الإحسان ، قال :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تراه فإنه يراك »[1] وقد جاء في الحديث الشريف :

« إنما بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق »[2] .

ويشمل هذا الجانب ما يعرف « بنظام السلوك أو نظام الأخلاق في الإسلام » .

٢ ـ خصائص الإسلام :

يختص الإسلام بخصائص فريدة ، ومزايا كريمة كثيرة ، تتجلى في كليات أحكامه وجزئياتها ،

ولعل من أبرز خصائصه العامة :

أ ـ الربانية .

ب ـ الكمال .

جـ ـ الوضوح .

د ـ الشمول .

---

(١) انظر الحديث السابق الذي رواه مسلم رقم (٨) .

(٢) الحديث رواه الإمام مالك في « الموطأ » بلاغاً عن النبي ﷺ ، وقال ابن عبد البر : « هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ... » انظر « كشف الخفاء » للعجلوني (٢٤٤/١ و ٢٤٥) .

هـ ـ التوازن .

و ـ العملية .

وقد سبق معنا الحديث عن هذه الخصائص إجمالاً في بيان خصائص القرآن الكريم الذي يُعَدُّ عمدة هذا الإسلام .

كما أن هناك خصائص تفصيلية أخرى منها :

١ ـ التيسير ورفع الحرج .

٢ ـ التدرج في التشريع .

٣ ـ التوقيف في جانب العبادة .

٤ ـ الجمع بين الثبات والمرونة في الأحكام .

إلى غير ذلك من خصائص تعرف في محالها المتفرقة في كتب الخصائص ومحاسن الإسلام ، لانطيل بذكرها [1] .

٣ ـ مبادئ الإسلام الأساسية :

مبادئ الإسلام الأساسية كثيرة ، تختلف أساليب العلماء في تعدادها وتجليتها ، ويمكننا إجمال أهمها في جوانب ثلاثة :

أ ـ في جانب الصلة بالله .

ب ـ في جانب الصلة بالنفس .

جـ ـ في جانب الصلة بالآخرين .

---

(١) انظر تفصيلاً للخصائص العامة في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » للدكتور يوسف القرضاوي ، وكتاب « خصائص الدعوة الإسلامية » لمحمد أمين حسين ، وكتاب « خصائص الشريعة الإسلامية » للدكتور : عمر سليمان الأشقر . وانظر بعض الخصائص الجزئية في كتاب « خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم » للدكتور : فتحي الدريني ، وغيره في جوانب الإسلام الأخرى .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الجوانب الثلاثة مجتمعة في حديث واحد يُعدُّ من جوامع كلمه ، وهو قوله :

« اتق اللهَ حيثما كنت ، وأَتْبع السيئةَ الحسنةَ تَمْحها ، وخَالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَن »[1] .

أ ـ المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالله : من ذلك :

١ ـ الدعوة إلى الإيمان بالله بأركانه الستة التي بينها حديث جبريل السابق ، وقد تضافرت الرسالات السماوية على الدعوة إلى هذا الجانب الذي لايتغير من شريعة إلى شريعة لعلاقته بالملة الواحدة .

٢ ـ الدعوة إلى أركان الإسلام الخمسة التي بينها حديث جبريل أيضاً .

٣ ـ الدعوة إلى الإحسان الذي بينه حديث جبريل أيضاً .

وإذا كانت حقيقة الدعوة إلى الإيمان والإسلام دعوةً لاعتقادات وأعمال أساسية لابد منها ، فإن الدعوة إلى الإحسان دعوة إلى حالة ضرورية لايكمل إيمان المسلم إلا بها .

ولاتخفى أثر هذه الاعتقادات والأعمال والأحوال في حياة الإنسان ، وهي بمجموعها يمكن أن يعبر عنها (بالتقوى) .

ولأهمية هذه المبادئ ، وتفضيلها على غيرها أطلق عليها ﷺ كلمة « الدين » فقال في حديث جبريل : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » .

---

(١) الحديث رواه أحمد والحاكم وقال : على شرطهما ، ورواه البيهقي والترمذي عن أبي ذر ومعاذ رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : « حَسَن صحيح ... » انظر « كشف الخفاء » للعجلوني (٤٣/١) ، وانظر « سنن الترمذي » (٢٠٥٣) و (٢٣٩/٣) ط : عبد الرحمن محمد عثمان .

ولعل من حكمة سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام قبل الإيمان ، أن أركان الإسلام أعم وأشمل من أركان الإيمان ، لشمولها على الركن الاعتقادي الأول ، وعلى الأركان الأربعة العملية الأخرى ، فحسن البدء به ، ثم جاء الحديث عن أركان الإيمان كتفصيل وتوضيح للركن الاعتقادي الأول .

ولايفهم من هذا الترتيب أفضلية الإسلام على الإيمان ، وإنما هما لفظان متكاملان ، يكمل أحدهما الآخر ، ومن هنا قال بعض المحققين في معنى الإيمان والإسلام : « أنهما إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا »[1] .

ب ـ المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالنفس : من ذلك :

١ ـ الدعوة إلى إعطاء النفس البشرية حقوقها كاملة ، سواء منها الحقوق المعنوية والمادية ، قال تعالى :

﴿ ونَفْسٍ وما سَوّاها ۞ فَأَلْهَمَها فُجورَها وتَقْواها ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زكّاها ۞ وقد خابَ من دَسّاها ﴾[2] .

وجاء في الحديث الشريف :

« ... ولنفسك عليك حقاً »[3] .

---

(١) انظر توضيحاً لهذا المعنى وتفصيلاً فيه في « شرح العقيدة الطحاوية » ص (٣٢٨ ـ ٣٢٩) تحقيق الأرناؤوط .

(٢) الآيات / ٧ ـ ١٠ / من سورة الشمس .

(٣) جزء من حديث شريف رواه البخاري في صحيحه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٦٨) (٢٠٩/٤) .

٢ ـ الدعوة إلى الاهتمام بواجباتها ، وأداء وظائفها ، فإن النفس البشرية مخلوق من مخلوقات الله عز وجل لها حقوقها وعليها واجباتها ، ولابد من توازن بين الحقوق والواجبات ، سواء أكانت مادية أم معنوية ، وقد جاء في الحديث السابق « فأعط كل ذي حق حقه »[1] .

وإذا كان من حقوق النفس البشرية ، حقها في الحياة ، وفي الطعام والشراب والنوم ، والدواء ، والتجمل وإنقاذها من عذاب الله في الدنيا والآخرة . وما إلى ذلك من حقوق مادية ، ومن حقوقها : الحرية ، والأمن ، والعدالة وما إلى ذلك من حقوق معنوية ...

فإن من واجباتها : طاعة الله ورسوله فيما أمرا به ، واجتناب نهيهما ، وابتعادها عن الظلم بجميع أنواعه ...

وقد أشار الحديث الشريف السابق إلى أسلوب من أساليب أداء الإنسان لحق نفسه فقال : « وأتبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمحُها »[2] .

كما أنكر الرسول ﷺ صراحةً اختلالَ التوازن بين الحقوق والواجبات بالنسبة للنفس البشرية ، وذلك في حديث الرهط الثلاثة ، ففي الحديث الشريف :

« جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا ، كأنهم تقالّوها وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ، قد غُفِر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا ، فأصلي

(١) جزء من حديث شريف رواه البخاري في صحيحه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٦٨) (٢٠٩/٤) .

(٢) سبق تخريجه في ص ١٨٦ .

الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ ! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، من رغب عن سنتي فليس مني »[1] .

جـ ـ المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالآخرين : من ذلك :

١ ـ الدعوة إلى بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والعناية بالأهل والأولاد ... قال تعالى :

﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾[2] ، وقال :

﴿ وأولو الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله ﴾[3] ، وقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسَكم وأهْليكم ناراً ﴾[4] وقال :

﴿ قُلْ إنَّ الخاسرين الذين خَسِروا أنْفسَهم وأهليهم يوم القيامة ... ﴾[5] .

٢ ـ الدعوة إلى حسن الجوار ، والرحمة بالضعفاء واليتامى والمساكين ...

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٥٠٦٣) (١٠٤/٩) و « صحيح مسلم » (١٤٠١) .

(٢) الآية / ٣٦ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٧٥ / من سورة الأنفال .

(٤) الآية / ٦ / من سورة التحريم .

(٥) الآية / ١٥ / من سورة الزمر .

قال تعالى :

﴿ وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى ، والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل ، ومامَلكت أيمانكم ، إن الله لايحب من كان مختالاً فخوراً ﴾ [1] . إلى غير ذلك من نصوص شرعية كثيرة .

٣ ـ الدعوة إلى التآخي والتعاون والتعاطف والتحابب بين المسلمين : قال تعالى :

﴿ إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ﴾ [2]، وقال :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [3]، وقال :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ﴾ [4] .

وجاء في الحديث الشريف :

« مَثَلُ المؤمنين في تَوادّهم وتَراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى »[5] .

٤ ـ الدعوة إلى بذل النصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(١) الآية / ٣٦ / من سورة النساء .
(٢) الآية / ١٠ / من سورة الحجرات .
(٣) الآية / ٢ / من سورة المائدة .
(٤) الآية / ١٠٣ / من سورة آل عمران .
(٥) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح مسلم مع الفتح » ٦٠١١) (١٠/٤٣٨) ، ولفظ البخاري « ترى المؤمنين ... » .

قال تعالى :

﴿ والعصر* إن الإنسان لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات* وتواصوا بالحق * وتواصوا بالصبر ﴾ [1] وقال تعالى :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ [2] . وجاء في الحديث الشريف :

« الدين النصيحة ، قلنا : لمَنْ ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[3] .

٥ ـ الدعوة إلى الشورى وعدم الانفراد في الرأي : قال تعالى :

﴿ وشَاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمْتَ فتوكّلْ على الله ﴾ [4] .

وقال أيضاً :

﴿ وأَمْرُهم شورىٰ بينهم ﴾ [5] .

٦ ـ الدعوة إلى العدل والمساواة بين الناس : قال تعالى :

﴿ إن الله يَأْمُرُ بالعَدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، ويَنْهى عن الفحشاء والمُنْكر والبَغْي ... ﴾ [6] .

(١) سورة العصر .
(٢) الآية / ١٠٤ / من سورة آل عمران .
(٣) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٥٥) .
(٤) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .
(٥) الآية / ٣٨ / من سورة الشورى .
(٦) الآية / ٩٠ / من سورة النحل .

وقال أيضاً :

﴿ ولايَجْرِمَنَّكم شَنآنُ قَوْم على ألا تَعدِلوا ، اعدلوا هو أقربُ للتقوى ... ﴾ [1] وقال :

﴿ ياأيها الناس إنّا خَلَقناكم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى ، وجَعَلناكم شعوباً وقبائِلَ لِتَعارَفوا إنَّ أكرمَكم عند الله أتْقاكم ... ﴾ [2]

وفي الحديث الشريف :

« قيل للنبي ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : أكرمهم أتقاهم »[3] ،

وفي الحديث الآخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ربكم واحد ، وأباكم واحد ، فلا فضل لعربي على عجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى »[4] .

٧ ـ الدعوة إلى معاملة الناس بالخلق الحسن : قال تعالى :

﴿ فَبِما رَحْمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كُنتَ فَظاً غليظَ القلب لانفَضّوا من حَوْلك ... ﴾ [5] .

وفي الحديث الشريف :

---

(١) الآية / ٨ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ١٣ / من سورة الحجرات .

(٣) رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٣٧٤)(٤١٤/٦) .

(٤) الحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه إلا أنه قال : « إن أباكم واحد ، وإن دينكم واحد ، أبوكم آدم ، وآدم من تراب » ورجال البزار رجال الصحيح ، انظر (٨٤/٨) .

(٥) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »[1] .

وجاء أيضاً :

« وخالق الناس بخلق حَسَن »[2] .

إلى غير ذلك من مبادئ كثيرة في هذا الجانب ، على الدعاة أن يتمثلوها في أنفسهم ، ويدعوا الناس إليها ...

* * *

---

(١) الحديث رواه أبو داود ، وصححه ابن حبان ، انظر « سنن أبي داود » رقم (٤٧٩٨) ، و « صحيح ابن حبان » (١٩٢٧) .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص : ١٨٦ .

البث المباشر، و«الإنترنت» وغيرها من الأدوات الجبارة، التي أصبحت في يد الإنسان المعاصر.

منهج الدعوة في القرآن:

والقرآن الكريم قد رسم منهج الدعوة بوضوح في آيات كثيرة، لعل أجمعها قوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهذا خطاب للنبي ﷺ ولكل من يبلغه الخطاب من بعده.

خطاب العقل والقلب:

وهو يتضمن الدعوة بـ(الحكمة) التي تقنع العقل، و(الموعظة) التي تحرك القلب. وللحكمة أهلها، وهم الذين يغلب عليهم النظر العقلي، وللموعظة أهلها، وهم الذين يغلب عليهم التأثر العاطفي. ولا مانع من أن يمزج الداعية الحكمة بالموعظة أو العقل بالعاطفة، كما يفيده العطف والاقتران بينهما في الآية الكريمة، بل هذا هو أسلوب القرآن الذي يجمع بين إضاءة العقول، واستمالة القلوب، كما يتجلى ذلك في القرآن كله، مكيه ومدنيه.

وهذه الدعوة يجب أن تكون على بينة وبصيرة، كما قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهذا يدلنا على أن كل من اتبع محمدا ﷺ يجب أن يكون داعيا إلى الله، وأن تكون دعوته على بصيرة. وهذا يوجب عليه أن يعرف الدعوة ومضامينها، ومحتوياتها في العقيدة والشريعة والأخلاق، وما تقدمه من تصور عن الله تعالى، وعن الكون والإنسان والحياة. وما تقدمه من حلول لمشكلات الإنسان، ومن مناهج لتسديد فكر الإنسان وسلوكه.

الحوار بالتي هي أحسن:

وإذا كان المنهج القرآني يتضمن دعوة الموافقين بالحكمة والموعظة الحسنة، فإنه يتضمن أيضا: حوار المخالفين بأرقى أساليب الحوار وأرقها وألطفها. وهو ما يرشد إليه قوله تعالى في الآية: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ونلاحظ أن القرآن اكتفى في الموعظة بأن تكون حسنة، ولكنه لم يكتف في الجدال إلا بالتي هي أحسن، بمعنى أنه لو وجدت طريقتان للجدال أو للحوار: طريقة حسنة جيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، فالمسلم مأمور أن يحاور المخالفين بالطريقة التي هي أحسن وأجود.

ولماذا خالف القرآن بين الموعظة والجدال أو الحوار؟ لأن الموعظة تكون عادة مع الموافقين لك في الدين، وأما الجدال أو الحوار فيكون مع المخالفين، والموافقون يكفي أن نخاطبهم بالأسلوب الحسن، أما المخالف فيحتاج إلى الذي هو أحسن.

وهذا ما علمنا القرآن في نماذج منه: في مثل قوله تعالى في جدال المشركين: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. فلم يجبههم بأنهم على ضلال، بل استخدم هذا الأسلوب: ﴿وإنا أو إياكم﴾ لإيناسهم وتقريبهم من المسلمين. وبعدها أيضا يقول: ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]. كان مقتضى المقابلة أن يقول: «ولا نسأل عما تجرمون»، ولكنه لم يشأ أن ينسبهم إلى الإجرام صراحة، حتى لا يجرح شعورهم أو يوغر صدورهم، وهو يريد أن يفتح قلوبهم وعقولهم لدعوة الإسلام.

وإذا كان هذا في خطاب المشركين، فما بالك بخطاب أهل الكتاب: أهل التوراة، أو أهل الإنجيل؟

إن القرآن يستخدم معهم أسلوبا يبشر ولا ينفر، ويقرب ولا يباعد، وحسبنا أنه يناديهم بهذا الوصف المحبب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ ليشعرهم بقربهم من (أهل القرآن) فالجميع أهل دين سماوي.

وهو يعلمنا كيف نجادلهم، فيقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فهو يدعونا أن نستعمل أحسن الطرق في مجادلتهم، وأن نركز على مواضع الاتفاق، لا على نقاط الاختلاف بيننا وبينهم، فلا شك أن هناك قواسم مشتركة بيننا وبينهم، وهنا ينبغي أن نبرزها عند الحوار، ولهذا قالت الآية الكريمة: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ﴾.

وهذا ما ينبغي أن نبرزه ونؤكده في عصرنا، وهو ما قلته في محاضرتي عن (الحوار الإسلامي المسيحي) في جامعة قطر. وهو أننا مع أهل الكتاب نقف في خندق واحد، وهو خندق الإيمان بالله ضد الإلحاد، وخندق الفضيلة ضد الإباحية، وخندق القيم الروحية والأخلاقية عموما ضد التحلل من كل الثوابت، وإن كان بيننا خلاف لا شك فيه في أصول العقائد.

مخاطبة كل قوم بلسانهم:

ومما هدى إليه القرآن في مجال الدعوة: مخاطبة كل قوم بلسانهم الذي يفهمونه، لا بلسان غريب عنهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقد بينت فيما كتبت من قبل: أني أفهم (لسان القوم) في هذه الآية فهما أعمق من مجرد أن يخاطب الإنجليز بالإنجليزية، والروس بالروسية، والصينيين بالصينية، ولكن أكثر من هذا: أن لكل قوم لسانا يخاطبون به. فلسان الخواص غير لسان العوام، ولسان الحضر غير لسان البدو، ولسان الغربيين غير لسان الشرقيين، ولسان الذين وصلوا إلى القمر غير لسان الذين يعيشون في الأدغال.

ولابد أن توصل الدعوة إلى كل قوم حسب مستواهم، وبالطريقة التي تلائمهم، وباللغة التي يعقلونها، ولا تخاطب قوما بلسان قوم آخرين.

وهذا ما قاله عليّ رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون. أتحبون أن يكذب الله ورسوله [1]؟

وقال ابن مسعود: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة! [2]

وقد روي مرفوعا: أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم [3].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم موقوفا على عليّ (الفتح: ١ / ٩٠) دون قوله: «ودعوا ما ينكرون»، فهي مما رواه أبو نعيم في المستخرج.

(٢) رواه مسلم كما في الفتح، كتاب العلم جـ١ / ٢٢٥.

(٣) قال في فيض القدير: رواه الحسن بن سفيان عن الحبر - ابن عباس - يرفعه، وسنده - كما قال ابن حجر - ضعيف جدا لا موضوع (٣/ ٣٧٨).

حسن الاستدلال بآيات القرآن:

ومما ينبغي للداعية أن يتحراه ويحرص عليه ويحكمه: حسن الاستدلال بالقرآن وآياته على ما يريد تقريره، أو تثبيته، من أحكام وتعاليم وأفكار. فإنه إذا أحسن الاستدلال بالنص القرآني، ووضعه في موضعه، أزاح كل شبهة، وقطع كل تعلة، وأخرس كل معارض. فلا دليل بعد القرآن، ولا حديث بعد كلام الله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾؟! [النساء:٨٧]. ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾؟! [النساء: ١٢٢]. ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾؟! [المائدة: ٥٠].

ولهذا لا يملك المؤمن أمام الدليل القرآني الصريح إلا أن يقول: آمنا وصدقنا، أو سمعنا وأطعنا. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد أدخل رجل على المأمون، كان يمشي في الناس، فيأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، دون أن يكون مأمورا من قبل الخليفة. فقال له المأمون: لم تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك إلينا؟ ونحن الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [الحج: ٤١]. فقال الرجل: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن. غير أننا أولياؤك وأعوانك فيه، ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال رسول الله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (١). فأعجب المأمون بكلامه، وسر به وقال: «مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف، فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا» (٢).

وهكذا حين أحسن الرجل الاستشهاد بالقرآن والسنَّة، انقطعت حجة الخليفة، ولم يجد بدا من إقرار الرجل على ما هو فيه.

---

(١) متفق عليه عن أبي موسى. اللؤلؤ والمرجان (١٦٧٠).

(٢) ذكره الغزالي في الإحياء.

وفي مقابل ذلك، دخل واعظ على المأمون فوعظه، وعنّف له في القول. فقال المأمون: يا رجل! ارفق، فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق: بعث موسى وهارون إلى فرعون، فأوصاهما بقوله: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى، لأن الدليل القرآني معه. ولهذا لم يجد الرجل جوابا لكلامه.

وينبغي على المسلم الواعي أن يراعي في هذا المقام أن يستدل بالمتفق عليه. لا بالمحتمل والمختلف فيه، فإن الدليل الذي يتطرق إليه الاحتمال، يسقط الاستدلال به.

فعند الحديث عن شمول القرآن ـ مثلا ـ يستدل بعض الناس بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

مع أن الكتاب في الآية يحتمل أن يكون هو القرآن، فيكون الاستدلال صحيحا، ويحتمل أن يكون المراد به (اللوح المحفوظ) الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦]. وغيرهما من الآيات. والأولى هنا أن يستدل على شمول القرآن بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. فهي صريحة في الدلالة على المراد. ومثلها ختام سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

كما أن على الداعية أن يتجنب الاستدلال بما ليس بدليل.

مثل ذلك: أن بعض الناس يستدلون على أن من ثمار تقوى الله أن يعلّمه ما لم يكن يعلم، بقوله تعالى في ختام آية المداينة من سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والحق أن الآية لا تدل على هذه الدعوى، لأنها ليست أمرا وجوابا، فإنما كان يصح ذلك

لو كان لفظها: «واتَّقُوا اللَّهَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ». أما الآية أو هذه الفقرة منها، فإنها تتضمن أمرا بتقوى الله، كما هي سنة القرآن حين يقرن الأوامر والنواهي بالتقوى. ثم بعد ذلك قال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أي هذه الأوامر والأحكام، فهي جملة مستقلة، كما قال في آية أخرى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦].

أما الاستدلال على الدعوى المذكورة فينبغي أن يكون بقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]. أي نورا تفرقون به بين الحق والباطل.

ومثلها قوله سبحانه في سورة الحديد: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨].

بل يمكن أن يستدل بعموم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] لأنه يشمل المخرج من الشبهات والمتشابهات [١].

(١) ثقافة الداعية ص ٣٠ ـ ٣٣.